

تفسير ابن كثير

ثم أقسم الخليل قسما أسمع به قوم ليكيدين أصنامهم أي ليحرصن على أذاهم وتكسيرهم بعد أن يولوا مدبرين أي إلى عيدهم وكان لهم عيد يخرجون إليه قال السدي : لما اقترب وقت ذلك العيد قال أبوه : يا بني لو خرجت معنا إلى عيدنا لأعجبك ديننا فخرج معهم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه إلى الأرض وقال : إني سقيم فجعلوا يمرون عليه وهو صريع فيقولون : مه فيقول : إني سقيم فلما جاز عامتهم وبقي ضعفاؤهم قال : { تـا } لأكيدين أصنامكم { فسمعه أولئك وقال ابن إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال : لما خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم مروا عليه فقالوا : يا إبراهيم ألا تخرج معنا ؟ قال : إني سقيم وقد كان بالأمس قال : { تـا } لأكيدين أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين { فسمعه ناس منهم .

وقوله : { فجعلهم جذاذا } أي حطاما كسرهما كلها إلا كبيرا لهم يعني إلا الصنم الكبير عندهم كما قال : { فراغ عليهم ضربا باليمين } وقوله { لعلمهم إليه يرجعون } ذكروا أنه وضع القدم في يد كبيرهم لعلمهم يعتقدون أنه هو الذي غار لنفسه وأنف أن تعبد معه هذه الأصنام الصغار فكسرها { قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين } أي حين رجعوا وشاهدوا ما فعله الخليل بأصنامهم من الإهانة والإذلال الدال على عدم إلهيتها وعلى سخافة عقول عابديها { قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين } أي في صنيعه هذا { قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم } أي قال من سمعه يحلف إنه ليكيدينهم : سمعنا فتى إبراهيم شأبا يذكرهم يقال له إبراهيم قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد بن منصور حدثنا جرير بن عبد الحميد عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال : ما بعث الله نبيا إلا شأبا ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب وتلا هذه الآية { قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم } .

وقوله { قالوا فاتوا به على أعين الناس } أي على رؤوس الأشهاد في الملأ الأكبر بحضرة الناس كلهم وكان هذا هو المقصود الأكبر لإبراهيم عليه السلام أن يبين في هذا المحفل العظيم كثرة جهلهم وقلة عقلهم في عبادة هذه الأصنام التي لا تدفع عن نفسها ضرا ولا تملك لها نصرا فكيف يطلب منها شيء من ذلك ؟ { قالوا أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم * قال بل فعله كبيرهم هذا } يعني الذي تركه لم يكسره { فاسألوهم إن كانوا ينطقون } وإنما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم فيعترفوا أنهم لا ينطقون وأن هذا لا يصدر عن هذا الصنم لأنه جماد .

وفي الصحيحين من حديث هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى

اﻟﻤﻮﺩﺭ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻗﺎﻝ : [ﻳﻦ ﺇﺑﺮﺍﻫﻴﻢ ﻋﻠﻴﻪ ﺍﻟﺴﻼﻡ ﻟﻢ ﻳﻜﺬﺏ ﻏﻴﺮ ﺛﻼﺕ : ﺛﻨﺘﻴﻦ ﻓﻲ ﺫﺍﺕ ﺍﻟﻤﻮﺩﺭ ﻗﻮﻟﻪ : { ﺑﻞ ﻓﻌﻠﻪ ﻛﺒﻴﺮﻫﻢ ﻫﺬﺍ } ﻭﻗﻮﻟﻪ : { ﺇﻧﻲ ﺳﻘﻴﻢ } – ﻗﺎﻝ – ﻭﺑﻴﻨﺎ ﻫﻮ ﻳﺴﻴﺮ ﻓﻲ ﺍﺭﺕ ﺟﺒﺎﺭ ﻣﻦ ﺍﻟﺠﺒﺎﺑﺮﻩ ﻭﻣﻌﻪ ﺳﺎﺭﻩ ﺇﺫ ﻧﺰﻝ ﻣﻨﺰﻻ ﻓﺄﺗﻰ ﺍﻟﺠﺒﺎﺭ ﺭﺟﻞ ﻓﻘﺎﻝ : ﺇﻧﻪ ﻗﺪ ﻧﺰﻝ ﻫﻪﻧﺎ ﺭﺟﻞ ﺑﺄﺭﺿﻚ ﻣﻌﻪ ﺍﻣﺮﺁﻩ ﺍﺣﺴﻦ ﺍﻟﻨﺎﺱ ﻓﺄﺭﺳﻞ ﺇﻟﻴﻪ ﻓﺠﺂ ﻓﻘﺎﻝ : ﻣﺎ ﻫﺬﻩ ﺍﻟﻤﺮﺁﻩ ﻣﻨﻚ ؟ ﻗﺎﻝ : ﺍﺧﺘﻲ ﻗﺎﻝ : ﻓﺎﺫﻫﺐ ﻓﺄﺭﺳﻞ ﺑﻬﺎ ﺇﻟﻲ ﻓﺎﻧﻄﻠﻖ ﺇﻟﻰ ﺳﺎﺭﻩ ﻓﻘﺎﻝ : ﺇﻥ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﺠﺒﺎﺭ ﻗﺪ ﺳﺄﻟﻨﻲ ﻋﻨﻚ ﻓﺎﺧﺒﺮﺗﻪ ﺃﻧﻚ ﺍﺧﺘﻲ ﻓﻼ ﺗﻜﺬﺑﻨﻲ ﻋﻨﺪﻩ ﻓﺈﻧﻚ ﺍﺧﺘﻲ ﻓﻲ ﻛﺘﺎﺏ ﺍﻟﻤﻮﺩﺭ ﻭﺇﻧﻪ ﻟﻴﺲ ﻓﻲ ﺍﻟﺄﺭﺕ ﻣﺴﻠﻢ ﻏﻴﺮﻱ ﻭﻏﻴﺮﻙ ﻓﺎﻧﻄﻠﻖ ﺑﻬﺎ ﺇﺑﺮﺍﻫﻴﻢ ﺛﻢ ﻗﺎﻡ ﻳﺼﻠﻲ ﻓﻠﻤﺎ ﺃﻥ ﺩﺧﻠﺖ ﻋﻠﻴﻪ ﻓﺮﺁﻫﺎ ﺍﻫﻮﻯ ﺇﻟﻴﻬﺎ ﻓﺘﻨﺎﻭﻟﻬﺎ ﻓﺄﺧﺬ ﺍﺧﺬﺍ ﺷﺪﻳﺪﺍ ﻓﻘﺎﻝ : ﺍﺩﻋﻲ ﺍﻟﻤﻮﺩﺭ ﻟﻲ ﻭﻻ ﺍﺿﺮﻙ ﻓﺪﻋﺖ ﻟﻪ ﻓﺄﺭﺳﻞ ﻓﺄﻫﻮﻯ ﺇﻟﻴﻬﺎ ﻓﺘﻨﺎﻭﻟﻬﺎ ﻓﺄﺧﺬ ﺑﻤﺘﻠﻬﺎ ﺃﻭ ﺍﺷﺪ ﻓﻔﻌﻞ ﺫﻟﻚ ﺍﻟﺜﺎﻟﺜﻪ ﻓﺄﺧﺬ ﻓﺬﻛﺮ ﻣﺘﻞ ﺍﻟﻤﺮﺗﻴﻦ ﺍﻟﺄﻭﻟﻴﻴﻦ ﻓﻘﺎﻝ : ﺍﺩﻋﻲ ﺍﻟﻤﻮﺩﺭ ﻓﻼ ﺍﺿﺮﻙ ﻓﺪﻋﺖ ﻟﻪ ﻓﺄﺭﺳﻞ ﺛﻢ ﺩﻋﺎ ﺍﺩﻧﻰ ﺟﺎﺑﻪ ﻓﻘﺎﻝ : ﺇﻧﻚ ﻟﻢ ﺗﺄﺗﻨﻲ ﺑﺈﻧﺴﺎﻥ ﻭﻟﻜﻨﻚ ﺍﺗﻴﺘﻨﻲ ﺑﺸﻴﻄﺎﻥ ﺍﺧﺮﺟﻬﺎ ﻭﺍﻋﻄﻬﺎ ﻫﺎﺟﺮ ﻓﺄﺧﺮﺟﺖ ﻭﺍﻋﻄﻴﺖ ﻫﺎﺟﺮ ﻓﺄﻗﺒﻠﺖ ﻓﻠﻤﺎ ﺍﺣﺴﻦ ﺇﺑﺮﺍﻫﻴﻢ ﺑﻤﺠﻴﺌﻬﺎ ﺍﻧﻔﺘﻞ ﻣﻦ ﺻﻼﺗﻪ ﻭﻗﺎﻝ : ﻣﻬﻴﻢ ؟ ﻗﺎﻟﺖ : ﻛﻔﻲ ﺍﻟﻤﻮﺩﺭ ﻛﻴﺪ ﺍﻟﻜﺎﻓﺮ ﺍﻟﻔﺎﺟﺮ ﻭﺍﺧﺪﻣﻨﻲ ﻫﺎﺟﺮ] ﻗﺎﻝ ﻣﺤﻤﺪ ﺑﻦ ﺳﻴﺮﻳﻦ : ﻓﻜﺎﻥ ﺃﺑﻮ ﻫﺮﻳﺮﻩ ﺇﺫﺍ ﺣﺪﺕ ﺑﻪﺫﺍ ﺍﻟﺤﺪﻳﺚ ﻗﺎﻝ : ﺗﻠﻚ ﺃﻣﻜﻢ ﻳﺎ ﺑﻨﻲ ﻣﺎﺀ ﺍﻟﺴﻤﺎﺀ